

أسماء الله الحسنى
6
القهار
الوهاب
الرزاق
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى

القهار

عندما دعا موسى فرعون إلى الإيمان بالله ، أبى واستكبر وظن أن الله لا يقدر عليه ، ﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب ﴾ . (غافر : ٣٦ ، ٣٧)

قال فرعون ذلك ساخرا مستهزئا ، فما كان من الله تعالى « القهار » إلا أن أغرقه في اليم وجعله عبرة لمن يعتبر ، وقهره الله وقصم ظهره .

وقهر اللهُ عزّ وجلّ من قبلُ كلّ الطُّغاة والْمُتكبِّرين ، فهو القهّارُ ذُو القُوّة والقُدرة المطْلقة ، وكلُّ شيءٍ مُسخّرٌ تحْت قهْره وقُدْرته .

قال تعالى : ﴿ وهُو الْقاهرُ فوْق عباده ويُرْسلُ عليْكُمْ حفظةً حتّى إذا جاء أحدكُمُ الْموْتُ توفّتْهُ رُسُلُنا وهُمْ لا يُفرّطُون ۞ ثُمّ رُدُّوا إلى اللّه موْلاهُمُ الْحقّ ألا لهُ الْحُكْمُ وهُو أسْرعُ الْحاسبين ﴾ .

(سورة الأنعام : ٦١ ، ٦٢)

إنّ اللّه تعالى « القهّار » كان بإمْكانه أنْ يقْهر النّاس جميعًا ويغْلبهُمْ على أمْرهمْ ويجعلهمْ يعْبُدُونه ، لكنّهُ تعالى لا يُريدُ ذلك إنّما يُريدُ أنْ تكون عبادةُ خلْقه لهُ بمحْض إرادتهمْ واخْتيارهمْ ، قال تعالى : ﴿ فمنْ شاء فلْيُؤْمنْ ومنْ شاء فلْيكْفُرْ ﴾ . (سورة الكهف : ٢٩)

وقال تعالى : « إنّا خلقْنا الإنْسان منْ نُطْفةٍ أمْشاجٍ نبْتليه فجعلْناهُ سميعًا بصيرًا ۞ إنّا هديْناهُ السّبيل إمّا شاكرًا وإمّا كفُورًا » . (سورة الإنسان : ٢ ، ٣)

ومن ظُلْمِ الإنْسانِ لنفسه أنَّ الْحقائق والْبَدَهيَات قدْ تَغيبُ عنْ ذِهْنه ، فيتكبَّرُ في الأرْضِ بغَيْرِ الْحقِّ ، ويزْعُمُ أنه قادرٌ على كلِّ شيْءٍ ، ولوْ تأمّل الإنْسانُ في حقيقة الأمْرِ لأدْركَ أن الله تعالى هو الذى سخَّرَ له كُلَّ شيْءٍ في الْوُجودِ وأمرهُ أنْ ينْقادَ له لكَيْ يعْمُرَ الْكوْنَ ، لكنَّ الإنْسانَ غفل عنْ هذه الْحقيقة أوْ تغافل عنْها وأصْبحْنا نسْمعُ منْ يقولُ : الإنْسانُ سخَّرَ الطَّبيعةَ ، الإنْسانُ خلق الْمُعْجزات ، وفي واقع الأمْرِ فإن اللَّهَ هو الذى سخَّر ، وهو الذى خلق وهو الذى يفْعلُ ما يُريدُ .

ومهْما أُوتيَ الإنْسانُ من أسْباب الْقُوَّة ، واكْتشف منْ أسْرارِ الطَّبيعة والْعلْم ، فإنَّ ذلك لا يجْعلُهُ بمنأى عنْ قُدْرة اللَّه تعالَى وبطْشه وقهْره ، قال تعالَى : ﴿ حتَّى إذا أخذت الأرْضُ زُخْرُفها وازَّيَّنتْ وظنَّ أهْلُها أنَّهم قادرُون عليْها أتاها أمْرُنا ليْلاً أوْ نهارًا فجعلْناها

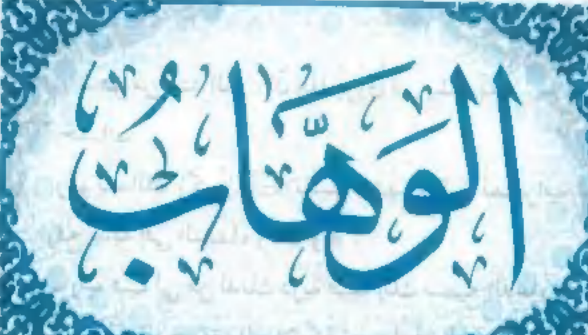
حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ . (سورة يونس : ٢٤)

إذن فالإنسان مهما أوتى فإنه لا يستعصى على قُدْرة اللَّه ، وهو أحوج ما يكون إلى اللَّه ، قال تعالى : ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ . (سورة الرعد : ١٦)

والمتأمل فى هذه الآية يُوقن بأن اللَّه تعالى الْواحد الْقهَّار ليس كمثله شىء ، هو الأول والآخر وهو الْباقى بعد فناء خلْقه ، قهر عباده بالْموت وحكم عليهم بالْفناء . وجاء اسمه تعالى « الْقهَّار » مقترنا باسمه تعالى « الْواحد » ليدل على أنه تعالى لا يقهره أحد ، بينما هو وحده القهار لكل ما سواه ، ولا يصح أن يكون اللَّه قهارا لكل ما سواه إلا إذا كان إلها واحدا لا شريك له ، إذ لو كان فى الْوجود اثنان

لتنازعا ولفسدت السماوات والأرض واختل نظام الكون ، فالإله لا يكون قهارًا إلا إذا كان واحدًا .

أيها الإنسان الضعيف ، إن القوة التى تطلبها ، هى من عند الله ، فلا تغتر بقوتك ، وانظر إلى الشمس والقمر والنجوم والجبال والدواب والأشجار ، وانظر إلى نفسك : أليس كل هذا دليلا على قهر الله وقدرته ؟ وهل يعجز الله تعالى أن يمحوك من الوجود ؟ إن الإجابة عن كل هذه التساؤلات معروفة جيدًا ولا تغيب عن ذهن عاقل . ولكن المشكلة تكمن فى التمرد والطغيان اللذين يملآن قلب الإنسان ، فيطردان منه الراحة والإيمان ، ويحل محلهما الشك والنكران ، فتذكر أن الله تعالى هو خالق كل شىء وهو الواحد القهار .



كانَ نبيُّ الله زكريَّا عليه السلام عقيمًا لا يُنجبُ ، وكان في قرارة نفسه مُشتاقًا إلى ولد يحملُ اسمَهُ من بعده ، ويحظَى بشرف الدَّعوة إلى الله ، لكنهُ كان قد قطع الأمل في ذلك بسبب كِبرِ سنّه هو وزوجته .

وذاتَ يومٍ دخل على مريم ابنةَ عمرانَ التى كانَ يكفُلُها فوجدَ عندها من كُلِّ الثَّمرات ، وجدَ ثمرات الصَّيْف في فصلِ الشتاء ، فسألها :

ـ يا مريمُ من أينَ لكِ هذا ؟

فقالتْ :

ـ هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

ولم يتمالك زكريا عليه السلام نفسه ، فهرع إلى المحراب ورفع يديه إلى السماء ودعا ربه :

ـ رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء .

وفي الحال جاءته الملائكة تحمل له البشرى بأن الله سيهب له غلاما زكيا .

وماكان من زكريا عليه السلام إلا أن خر ساجدا لله تعالى « الوهاب » الذي ينعم على عباده بالكثير من الهبات والعطايا . فنعمه تعالى لا تعد ولا تحصى ، وهو الذي تكون هباته خالية من أي غرض إنما هي فضل منه وإحسان !

قال تعالى : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ .

(سورة آل عمران : ٨)

فالوهاب هو الله ، فهو الذي يعطي بغير حساب ،

فالإنْسانُ قد يَهَبُ الْمال أو الْمَنْصب أو أى شىء من الأشياء لأخيه الإنْسان ، وبرغم ذلك لا يصح أن يُسمى « وهَّابا » ؛ لأن هذا الْمال الذى يتصدقُ به على غَيْره أو يهبه له ليْس فى الْحقيقة مِلْكا لَهُ ، إنما هو مِلْكٌ لله تعالى .

وإذا كان الإنْسانُ قادرا على أنْ يهَب الْمال أو الذَّهب ، فهلْ يستطيعُ أنْ يهب الصحَّة لأحد ؟ وهل يقْدرُ على أنْ يهب الْهداية للضَّال ؟ وهلْ يَمْلكُ أنْ يهب الْعمر لأحد ؟

إن الذى يهبُ فى الْحقيقة هو الذى يمْلكُ ، والذى يمْلكُ هو اللَّهُ تعالى لأنهُ يقولُ : ﴿ ولِلَّه مُلْكُ السَّماوات والأرْضِ ﴾ ويقولُ : ﴿ قل اللَّهُمَّ مالك الْمُلْك تؤْتِى الْمُلْك من تشاء وتنْزِعُ الْمُلْك ممن تشاء وتُعزُّ من تشاءُ وتُذلُّ من تشاءُ بيدكَ الْخيْرُ إنَّك على كُلِّ شىْءٍ قديرٌ ﴾ . (سورة آل عمران : ٢٦)

والْوَهَّابُ هو الْجوادُ الذى وسع خَلْقَهُ بجُوده وكرمه

وعطاياهُ ، فغطَّتْ عطاياهُ كلَّ المَخْلوقات ، وشَملَتْ نعمهُ المؤمنَ والكافرَ والبَرَّ والفاجرَ .

فاللهُ تعالَى هو وحْدَه « الْوَهَّابُ » الذى بيده ملكُوتُ السَّمَاوات والأرْضِ وعنْدهُ خزائنُ كُلِّ شَيْءٍ ، يداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنفقُ كيْفَ يشاءُ ، يهَبُ الصحَّةَ لمنْ يشاءُ ، ويهبُ الجَمالَ لمنْ يشاءُ ، ويهبُ العقْلَ لمنْ يشاءُ ، ويهَبُ الإناثَ لمنْ يشاءُ ويهَبُ الذُّكرانَ لمنْ يشاءُ .

وهو الْجوادُ الْمنعمُ الْمتفضِّلُ على عباده بالْعَطايا ، كَثيرُ النَّوالِ دائمُ الْمعْروف على جميعِ خلْقه .

والْمسْلمُ الذى يتدبَّر فى اسْمه تعالَى « الْوهَّاب » لا يَطْلُبُ شيْئًا سوى من اللَّه تعالَى ، فإذا أرَدْتَ أنْ يكونَ لديْكَ الْمالُ أو الصِّحةُ أو الْولَدُ فما عليْكَ إلا أنْ ترفعَ يديْكَ إلى السَّماء وتدْعُو اللَّه أنْ يهبَ لكَ من فضْله ونعمه وعطاياهُ ، وفى الْقرآن الْكريمِ آياتٌ كَثيرَةٌ دالَّةٌ على أنَّ الْعبادَ الصَّالحينَ يرجُونَ ربَّهُمْ الوهَّابَ ليهبَ لهُمْ ما يُريدونَ ، وأنَّ الأنْبياءَ كانُوا دائمِي

اللجوء إلى الله تعالى وحده ليهب لهم التقوى والعمل الصالح والثبات . قال تعالى : ﴿ الذى خلقنى فهو يهدين * والذى هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذى يميتنى ثم يحيين * والذى أطمع أن يغفرلى خطيئتى يوم الدين * رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين ﴾ . (سورةالشعراء : ٧٨ - ٨٣)

وقد جاءت هذه الآيات وهي تقص علينا طرفا من قصة نبى الله إبراهيم عليه السلام الذى وهبه الله الأبناء على الكبر فقال : ﴿ الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحق إن ربى لسميع الدعاء ﴾ .

(سورة إبراهيم : ٣٩)

ومن دعاء المؤمنين ما قاله الله تعالى : ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ﴾ . (سورة الفرقان : ٧٤)

ومن دعائهم أيضا ـ كما علمهم الله فى محكم آياته ـ : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ . (سورة آل عمران : ٨)



كان أحدُ الأعْرابِ يسمعُ قولَهُ تعالَى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ . (سورة الذاريات : ٢٢ ، ٢٣)

فأبدى دهشتَهُ وقال في يقين :

ـ من الذى أغضبَ ربَّ السَّماءِ حتى أقسمَ ؟ إنَّنا نُصدِّقُكَ يا ربُّ فما بَيْنَ أيْدينا من أمْوالٍ وأشياءَ أنتَ الذى تفضَّلْتَ بها علينا وليس سواكَ .

وَحقًّا فقد صدَقَ الأعْرابِيُّ بحسِّهِ الفِطْرِيِّ حين اهتدَى إلى هذا المَعْنى ، فاللهُ تعالَى هو الذى بيده

مطلقُ الرِّزْقِ ، فهو الذى خلق الرِّزْقَ والْمرزوقَ وأنعم على عباده بالْخير والْبركات . وقد يظُنُّ بعضُ الناسِ أنَّ الرِّزْقَ هو ما يحصلُ عليه الإنسانُ من مالٍ وعقاراتٍ وصحةٍ ومناصبَ ! والْحقُّ أن الرِّزْقَ لا يتوقَّفُ على تلْك الأَشْياء المادِّيَّة ، ولكنه على نوعين : رِزْقُ الأجْسامِ بالأطْعمة واللِّباسِ والصحة والتنفُّسِ ، ورِزْقُ الأرواحِ بالْعُلُومِ والْعقلِ بالْمعارف والسَّكينة والاطْمئنان النَّفْسيِّ وهذا من أشْرف أنْواعِ الرِّزْقِ وأفْضله ، لأنَّ ثمرتَهُ باقيةٌ ومُمْتدَّةٌ فى الدُّنيا والآخرة .

كما أنَّ الرِّزْقَ ليس هو ما يحصُلُ عليه الإنسانُ فى الدُّنْيا فقط ، ولكنه العطاءُ الْجارى سواءٌ أكان فى الدُّنيا أو فى الآخرة ، فقدْ يكونُ رزقُ الإنْسانِ ضيِّقًا فى الدُّنيا ، بيْنما رزْقُهُ فى الآخرة واسعٌ لا حُدُودَ لهُ ، وقدْ يكونُ رزقُ الإنسانِ فى الدنْيا واسعًا لكنَّهُ فى الآخرة لا نصيبَ لهُ .

إن اللهَ هو وَحدَهُ الرَّزّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمتين ، فلا رازِقَ إلا هُوَ ،

وينبغي أن يتدبرَ العبدُ حقيقةَ وصفه تعالى بهذه الصفة التي جاءت على صيغة المبالغة ، حتى لا يطلُبَ الرزقَ أو ينتظره إلا من الله ، ولا يتوكَّل إلا على الله . فقد روى الترمذيُّ عن رسول الله ﷺ قولَه : « لو أنَّكُمْ تتوكَّلُونَ على الله حقَّ توكُّله لرزقكُم كما يرزُقُ الطَّيرَ تغدُو خماصا وتروحُ بطانا » .

وقد فهم بعضُ النَّاس من اسمه تعالى « الرزاق » فهما خاطئا ، فتكاسلَ عن العمل وتراخي ، وظنَّ أنَّ الله سيرزُقُه وهو جالسٌ في بيته ، وهذا فهمٌ غيرُ صحيح ، فجوهرُ الدِّين الإسلاميِّ هو التَّوكُّلُ أي الأخذُ بالأسباب لكي تتحقَّق لنا النتائجُ ، فمن أراد أن يحصُد عليه أولا أن يزرع ويبذُل الجهد لحماية ما زرع ثم ينتظر بعد ذلك النتيجة . أما أنْ يمكُث في بيته بلا عملٍ ولا نشاط فإن هذا هو التَّواكُلُ بعينه . وقد سئل أحمدُ بن حنبل ـ رضي اللَّهُ عنه ـ عن رجلٍ جلس في بيته أو مسجده وقال : لا أعملُ شيئا حتى يأتيني رزقي ؟ فقال أحمد

ابنُ حنبل : هذا رجلٌ جهلَ العلمَ ، أما سمعَ قولَ النبيِّ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ جعلَ رزقي تحتَ ظلِّ رمحي » . أي أنَّ الرزقَ يأتي بالكدِّ والتعبِ والعملِ الدءوب .

وقال العلماءُ في هذا المعنى أيضًا : ليس العبادةُ عندنا أن تصفَّ قدميكَ ، وغيرُكَ يتعبُ لكَ ، ولكن ابدأْ برغيفيكَ فأحرزْهما ثم تعبَّدْ .

وهذا الفهمُ العميقُ من السلفِ لمعنى الرزقِ هو الذي يحققُ المعادلةَ الصعبةَ بين التوكلِ على اللهِ حقَّ توكُّلِه وانقطاعِه للعبادةِ ، وبين كدِّ الإنسانِ وتعبِه من أجلِ الحصولِ على الرزقِ بالعملِ والتعبِ .

وقد حرصَ الإسلامُ على أن يكونَ رزقُ المسلمِ حلالًا طيبًا لا شبهةَ فيه ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ .

(سورة النحل : ١١٤)

وعندما يكونُ الرزقُ حلالًا فإنَّ الإنسانَ يكونُ مستجابَ الدعوةِ مقبولًا عند اللهِ تعالى . فعندما

سأل سعدُ بنُ أبي وقَّاص الرسولَ ﷺ أنْ يدعو لهُ ، قال ﷺ : « يا سعدُ ، أطبْ مطعمكَ تكُنْ مُستجابَ الدَّعوة » .

إن الإسْلامَ دينُ تكافُلٍ وتراحُمٍ ، فإذا كان اللَّهُ قدْ وسَّعَ على الْبعْضِ بالرِّزْق وأعطاهمْ من واسع كرمه ، فقدْ أمرهُمْ بالإنْفاق على الفُقراء والْمرضى والْمحتاجين ، قال تعالى : « يأيُّها الَّذين آمنُوا أنْفقُوا ممَّا رزقْناكُم منْ قبْلِ أنْ يأتي يومٌ لا بيْعٌ فيه ولا خُلَّةٌ ولا شفاعةٌ والْكافرُون هُمُ الظَّالمُون » . (سورة البقرة : ٢٥٤)

اللَّهُمَّ إنا نسألك أنْ ترزُقنا قلْبًا خاشعًا ، ولسانًا ذاكرًا ، وعلْمًا نافعًا ، ويقينًا لا شك فيه ، وارزُقْنا الصَّبر والصَّلاح والعفَّة والتَّقْوى ، وارزُقْنا منْ بحرِ جُودكَ وكرمك ، ما علمْنا منْهُ وما لمْ نعْلمْ ، وارزُقْنا الْجنَّةَ مع الْمُتَّقين الأبْرار .

رقم الإيداع : ١١٦٩٠
الترقيم الدولي : ٩٧٧-٢٦٦-٣٥٩-٢